النفس الإنسانية بين أحكام الشريعة والهوى في ضوء القرآن الكريم

المستخلص

د. أبا سفيان محمد الحاج•

هدف هذا البحث إلى توضيح ماهية النفس الإنسانية في نظر الشريعة الإسلامية وإيضاح العلاقة بينها وبين الهوى، وبيان الصراع السرمدي بينهما، من منظور القرآن الكريم، واتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وتوصل إلى نتائج منها: وحدة البشرية في الفطرة والتكوين، واختلافهم في الاختيار والقدرة على التغيير. إنّ طلب الهوى والشهوات ليس مذموماً في ذاته، إنما المذموم طلب هذه الشهوة من غير طريق الشرع. تتعدد مظاهر الهوى مثل حب النفس والمال والولد وغيرها، وأنّ العلاج يكمن في معرفة الإنسان نفسه وربه، والتفكر فيما حوله من مخلوقات واتباع نهج الشرع القويم. وأوصى الباحث بضرورة الاهتمام بقضية النفس وتزكيتها فهي مناط الفلاح في الدنيا والآخرة . كما أوصى البحث بنشر ثقافة تزكية النفس عبر شتى الوسائل المختلفة من حلقات، ومحاضرات، ولقاءات، على كافة الوسائل المسموعة والمقروءة، لتعميق البعد التربوي والتزكوي. لإبراز قيم الحق والخير والفضيلة.

• أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد، جامعة طيبة ،كلية العلوم والآداب– السعودية

مقدمة

إنّ من أعظم الأسرار في الإنسان نفسه التي بين جنبيه، وهذا اللغز الذي لم يتجرأ أحد على حله في شتى العصور والأزمان ولا يستطاع إلى ذلك سبيلاً، هو مصدر الإبداع والإمتاع والمعارف، ولكننا لم ندرك كنهها ومع ذلك الإنسان، منذ خلقه يسعى لمعرفة هذه النفس وتفهمها، ولا يزال يبذل قصارى جهده في ذلك ، وقد سئل عنها رسول الله (ρ) فتولى الإجابة الوحي ، فالروح والنفس سر من أسرار الله في الكون، ومهما تقدم الإنسان في معرفة الأشياء من حوله لا يستطيع معرفة النفس التي بين جنبيه وقد أودع الله فيها من الأسرار ما يعجز عنها الإنسان نفسه، وألزمها الهوى الذي يلام على إتباعه. ففي هذا البحث الذي بين أيدينا نسعى لتوضيح ماهية النفس وما علاقتها وفق الشريعة الإسلامية ووفق منهج القرءان الكريم.

مفهوم النفس:

في اللغة: يقال: نَفَّسَ: تَنْفيساً، ونَفَسَاً عنه أي: فَرَّجَ عَنْه،[1] وفي الحديث عن النبي محمد (ρ) أنه قال: " منْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُربة من كُربِ الدّنيا، نَفَّسَ اللهُ عنْه كُربة من كُربِ يومِ القيامة"[2]، وأنْفَسه الشَّيء: أعْجَبه وصّارَ عِنْده نَفِيساً، والنَّفْس: الرُّوح، والنَّفْس: العَيْن، يقال: خَرَجَت نَفْسُه، أي: روحه، ويقال: أصابته نَفْس، أي: عَيْن، والنَّفْس مؤنث إنّ أريد بها الروح[3] نحو قوله تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)[4]، وإنّ أريد الشخص فمذكر، يقال: عندي خمسةَ عَشَرَ نَفْساً.[5]

ويراد بالنَّفْس: الشَّخص، والإنسان بجملته، والنَّفس أيضاً: العِنْد،[6] كما في قوله تعالى: [تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)[7]، أيّ: عندي وما عندك[8]. وجاء في لسان العرب أنّ النَّفْس تعني: العَظَمَة، والكِبر، والنَّفْس: الهِمَّة، والنَّفْس: العِزَّة، والنَّفْس: عَيْنُ الشَّيْءِ، وكُنْهُه...."[9] وهَكذا اتسعت معاني النفس وتعددت مدلولاتها في الاستعمال اللغوي.

تعريف النفس اصطلاحاً:

لقد أسهم العديد من العلماء المسلمين في بيان النفس، وإظهار معانيها، ولهم فيها أقوال، ومن هذه الأقوال ما **يأتي:**

- إنّ النفس هي: الجوهر البخاري اللطيف، الحاصل لقوة الحياة، والحس، والحركة الإرادية، وسميت بـ: الروح الحيواني[10].إن النفس والروح اسمان مرادفان لشيء واحد.[11]
- إنّ النفس هي: الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير، والتصريف أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء، الساري فيها، سريان ماء الورد في الورد.[12]
- إنّ النفس هي: جوهر قائم بنفسه متعلقة بالجسم، تعلق التدبير، والتصريف[13]، فلو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً بل كانت عقلاً، إذ أنّ وجود النفس مستلزم لوجود الجسم.[14]

---

1. ابن الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد ،(ت 606هـ)- النهاية في غريب الحديث والأثر - تحقيق: طاهر احمد الزاوي، محمود محمد الطناحي- المكتبة العلمية- بيروت -1399هـ- 1979م.: 5/ 203.
2. أبو الحسين، الحجاج: مسلم – صحيح مسلم المسمى: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ρ – شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – الطبعة الأولى 1419هـ.
كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. 2074/4، رقم الحديث 2699
3. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب ، بيروت، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، ط2، 1417هـ - 1997م. ، مادة نفس: 6/ 233، القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز بادي، تحقيق مكتب التراث العربي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1412هـ - 1991م. 1/ 745.
4. سورة الزمر الآية : 6.
5. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المُقري المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لا . ت . : 2/617.
6. البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله،(ت 709هـ)- المطلع على أبواب الفقه- تحقيق: محمد بشير الأدلبي—المكتب الإسلامي- بيروت- 1401هـ- 1981م ص: 338.
7. سورة المائدة: 116.
8. القاموس المحيط: 1/ 745.
9. مادة نفس: 233/6.
10. الجرجاني، علي بن محمد بن علي ،(ت 816هـ)- التعريفات- دار الكتاب العربي- بيروت- تحقيق: إبراهيم الابياري- الطبعة الأولى- 1405هـ اص : 132.
11. رياض، سعد - موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي- دار ابن الجوزي- القاهرة- د. ط- 2008م.: 109.
12. الألوسي، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود ت(1270هـ) البغدادي- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-دار إحياء التراث العربي- بيروت.: 17/ 46.
13. عيسى، احمد بن إبراهيم بن -توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم- تحقيق: زهير الشاويش- المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثالثة- 1406هـ.: 75/1،
14. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد: 75/1.

وذكر ابن تيمية[15]: أنّ النفس ما اقترن بالمادة التي هي الهَيُولَى[16]، وهي الجسم كنفس الإنسان المدبرة لبدنه، وما دامت نفس الإنسان مدبرة لبدنه سموها نفساً.[17]

أما الغزالي[18] فله قول آخر، وهو من المهتمين بدراسة النفس اهتماماً كبيراً، إذا أنه عدّ معرفة النفس توصل إلى معرفة الله،[19] قائلاً: أنّ النفس الإنسانية هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية[20]، ويقصد بالكمال الأول: أيّ من غير واسطة، وقوله: جسم طبيعي أي: غير صناعي لا في الأذهان بل في الأعيان، وقوله آلي أي: ذي آلات يستعين بها ذلك الكمال الأول في تحصيل الكمالات الأخرى.[21]

أنواع النفس الإنسانية:

تختلف النفوس وتتباين أنواعها وهذا التباين والاختلاف في النفس الإنسانية، نابع من التغيير، لما في داخلها، قال تعالى:[إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[22]، وقال تعالى:[أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)[23] إنّ هناك تغييراً يحصل في حال القوم يجري وينفذ من خلال حركة أنفس هؤلاء القوم، وتغيير اتجاهها، جاء في الظلال:" فإذا غير القوم ما بأنفسهم اتجاهاً وعملاً، غير الله حالهم وفق ما غيروا هم أنفسهم"[24].

فالواضح من النص أن التغيير في النفس هو واقع نفسي للناس يوضح لنا أنّ أعمال الجوارح ناشئة من نبع نفس تحرك الجوارح؛ وحين تصلح النفس؛ تصبح الجوارح مستقيمة؛ وحين تفسد النفس تصير الجوارح غير مستقيمة. فمن هنا حدث التباين والاختلاف، ولكن ليس الاختلاف في الفطرة والتكوين، وإنما الاختلاف في الاختيار، والقدرة على التغيير، ولذلك تعددت الأنفس.

---

15. هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدا لله النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام ، شيخ الإسلام. ولد في حران، وتحول به أبوه الى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب الى مصر، فقصدها، ثم عاد الى دمشق ومات معتقلاً في قلعتها سنة 728هـ، وله مؤلفات كثيرة منها: الفتاوى، كتاب الإيمان، منهاج السنة، 74، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك - الوافي بالوفيات - ط :الثانية ، بيروت،1985م، ص 2/ 375،والأعلام للزركلي: 1/ 144،.
16. وهي: لفظ يوناني بمعنى: الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: هي الجوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال، والانفصال محل للصورتين الجسمية، والنوعية، فهي مادة ليس لها شكل، ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل، والتصوير في شتى الصور، وهي التي صنع الله تعالى منها أجزاء العالم المادية، أي: هي مادة الشيء التي يصنع منها، كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار، والقطن للملابس. مصطفى، إبراهيم ،وآخرون- المعجم الوسيط- تحقيق: مجمع اللغة العربية- دار الدعوة.: 2/ 1004.
17. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم – مجموع فتاوى ابن تيمية – جمع عبد الرحمن ابن قاسم – سوريا – مطبعة الرسالة – الطبعة الأولى 1398هـ: 273/9.
18. هو الفيلسوف الفقيه الأصولي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي، هو: حجة الإسلام، ولد في مدينة طوس من اعمال خراسان، وتوفي بها سنة 505هـ. تجول في طلب العلوم الشرعية، والعقلية، حتى نبغ فيها، ثم آثر التصوف، وغلب عليه، وله أكثر من مئتي كتاب، ومقالة، ورسالة منها: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، اللباب في ابن خلكان، لأبي العباس أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ت681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت (1969م).: 4/ 216، و الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز - أبو عبد الله، (ت 748هـ)- سير أعلام النبلاء تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة التاسعة- 1413هـ .: 19/ 332 ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الفكر - بيروت،1988. 4/ 10.
19. موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي: 115.
20 . الغزالي، محمد بن محمد بن محمد أبو حامد،(ت 505هـ)معارج القدس في مدارج معرفة النفس- - دار الآفاق الجديدة- بيروت- الطبعة الثانية- 1975م.: 21/1.
21 . المصدر نفسه.
22 .سورة الرعد: 11.
23 . سورة الرعد: 33.
24. سيد قطب،(ت 1966م)- في ظلال القرآن- دار الشروق- بيروت- الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون- 1425هـ- 2004م.: 4/2049- 2050، 2072.

والنفوس ثلاثة أنواع، وهي: النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة، واختلف الناس: هل النفس واحدة، وهذه أوصاف لها، أم للعبد ثلاثة أنفس، فالأول: قول الفقهاء، وجمهور المفسرين، والثاني قول كثير من أهل التصوف.[25]

وذكر الإمام ابن تيمية: "أنّ هذه صفات وأحوال لذات واحدة، وإلا فالنفس التي لكل إنسان: هي نفس واحدة، وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه".[26] ويؤكد ذلك قول الامام **ابن قيم الجوزية**: "أنّ لأبن آدم ثلاثة أنفس: أمارة بالسوء، لوامة، مطمئنة، وإنّ منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه الأخرى"[27]. والحقيقة أنه لا نزاع بين الفريقين، فإنها واحدة باعتبار ذاتها، وثلاثة باعتبار صفاتها. ويتضح أنّ النفس الإنسانية واحدة ولها صفات: منها الأمارة بالسوء، ومنها اللوامة، ومنها المطمئنة فهذه صفات لنفس واحدة، فإذا دعت النفس إلى شهواتها مالت إلى هواها فهي: النفس الأمارة بالسوء، فإذا فعلتها أتت النفس اللوامة، فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات، فتحصل الندامة وهذه من صفات النفس المطمئنة، وقيل أن النفس أمارة بالسوء بطبعها فإذا تزكت صارت مطمئنة. وفيما يلي بيان **لهذه الأنواع**:

1. **النفس الأمارة بالسوء:**

وهي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية واتباع الهوى، وهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة. وهذه النفس هي التي توسوس لصاحبها وتحدثه بالآثام، قال تعالى: (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)[28]، وقال تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ][29]، وهي بذلك- كما قال ابن تيمية- أحد ثلاثة يستعاذ منها **وهي**:

النفس الأمارة، وشياطين الجن، وشياطين الإنسان، وروي عن **ابن جريج** في تفسير قوله تعالى: [مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ]، قال: هما وسواسان، فوسواس من الجنة وهو الخنّاس، ووسواس من نفس الإنسان.

وهي نفس مذمومة، تأمر بكل سوء، لا يتخلص صاحبها من هواها، إلا بتوفيق الله، وإن هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات، وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها، وكفها عن ذلك،[30] كما في قوله تعالى:[وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ][31]، تبين حال القائل أي كان " فهي هنا لا تدعي براءة النفس من ارتكاب الذنب لأنّ النفوس كثيرة الأمر بالسوء.[32] كما وأنّ النفس الأمارة يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنب، والمعاصي، ويكون الشيطان قرينها، يأمرها بالسوء، ويزينه لها، ويريد لها الباطل في صورة تقبلها، وتستحسنها.[33]

ويعد هذا النوع من النفوس البشرية نفوس مهلكة؛ لأنها لا تأمر بخير، جاء في كتاب مدارج السالكين[34]: من عرف نفسه وما طبعت عليه، عرف أنها منبع كل شر، ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها؛ فضل من الله منَّ به بني آدم، ومن ثم تحيل هذه النفس صاحبها إلى الإقرار بأن نفسه الأمارة، هي مصدر الذنب والإساءة.

2. **النفس اللوامة:**

تفسير قوله تعالى:[وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ][35]، وهي على **النحو التالي**:

1. عن الحسن البصري[36]: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردتُ بكلمتي؟ ما أردتُ بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي ؟، وإن الفاجر يمضي قدماً ما يعاتب نفسه.[37]
2. عن عكرمة[38]: تلوم على الخير والشر: لو فعلت كذا وكذا.[39]

---

25. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف ،(ت751هـ)- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان- دار المعرفة- بيروت- تحقيق: محمد حامد الفقي- الطبعة الثانية- 1395هـ- 1975م: 75/1.
26. مجموع الفتاوى ، ابن تيمية: 294/9.
27. الروح، ابن قيم الجوزية: 220/1.
28. سورة يوسف الآية 53
29. سورة الآية
30. تفسير فتح القدير، للشوكاني: 3/ 50.
31. سورة يوسف الآية : 53.
32. تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: 1/ 2194.
33. مجموع الفتاوى: 9/ 294، وتزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف، احمد محمد كنعان: 67.
34. 1/ 220.
35. سورة القيامة الآية : 2.
36. هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، ولد بالمدينة، له مواقف مع الحجاج بن يوسف، توفي بالبصرة سنة 110هـ، الوافي بالوفيات: 4/ 223، والأعلام: 2/ 226.
37. في ظلال القرآن: 3768/6.
38. هو أبو عبد الله عكرمة البربري، مولى ابن عباس، كان فقيهاً، عالماً بالتفسير والسنة، إلا أنه يرى رأي الخوارج، توفي سنة 107هـ. حلية الأولياء، للأصبهاني: 3/ 326، وفيات الأعيان: 3/ 265،.
39. في ظلال القرآن: 3768/6.

3. عن سعيد بن جبير[40] وعن ابن عباس[41]: هي النفس اللؤوم، وعنه أيضاً: اللوامة: المذمومة[42]، وذكرت النفس المذمومة في قوله تعالى: [وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى][43]، وقد جاءت الإستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قول الرسول (ρ): ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أنّ لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله...[44]

وجاء في الحديث أيضاً: أنّ أبا بكر الصديق (τ) قال: يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت، و إذا أمسيت قال: قل: اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه، اشهد أنّ لا أله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان، وشركه، وأنّ اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم[45].

ولقد ورد في كتب التفسير معنى النفس اللوامة، وهي: التي تندم على ما فات وتلوم عليه، أو هي: الفاجرة.[46] وقال ابن جرير[47]: وكل هذه الأقوال متقاربة، بالمعنى، والأشبه بظاهر التنزيل أنها: هي التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات، أو هي: التي تلوم نفسها أبداً، وإن اجتهدت في الطاعة.[48] فليس من نفس برة ولا فاجرة، إلا وتلوم نفسها يوم القيامة، إن عملت خيراً قالت: كيف لم أزد، وإن عملت شراً قالت: يا ليتني كنت قصرت[49].

فهذه النفس اللوامة والتي يصفها **سيد قطب**: "بأنها المتيقظة، التقية، الخائفة، المتوجسة، تحاسب نفسها، وتتلفت حولها، وتتبين حقيقة هواها، وتحذر خداع ذاتها، هي النفس الكريمة على الله حتى ليذكرها مع القيامة، وهي الصورة المقابلة للنفس الفاجرة".[50]

ونفهم من هذا القول أن المراد بالنفس اللوامة: نفوس المؤمنين التي وصفت باللوامة ، لأنها تكثر لوم صاحبها على التقصير في التقوى، والطاعة، وهذا اللوم هو المعبر عنه في الاصطلاح: بالمحاسبة ولومها يكون بتفكيرها وحديثها النفسي.[51]

3. **النفس المطمئنة:**

أما هذا النوع من النفوس فهي نفس عرفت ربها حقاً، واستقر بها الحال إلى اليقين، وحررت نفسها وتخلصت من كل شهوات الدنيا وعاشت مرتبطة ببارئها، فاطمأنت بذلك راضية مرضية، وهي نفس الشخص المؤمن،[52]ويقال لهذه النفس عند الموت:(يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *وَادْخُلِي جَنَّتِي][53]، ولذلك فالنفس المطمئنة لها بشارة عظيمة من خالقها، واجمع المفسرون ومنهم القرطبي[54]، والآلوسي[55] على أنها: النفس الآمنة من الخوف، أو

---

40 .هو سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، حبشي الأصل، من الموالي، أخذ عن ابن عباس وابن عمر، قتله الحجاج بواسط سنة 95هـ. وسير أعلام النبلاء: 4/ 321- 3.

41. هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس حبر الأمة، والصحابي الجليل، ولد بمكة، وشهد مع علي الجمل، وصفين، وينسب إليه كتاب في تفسير القرآن جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية، توفي سنة 568هـ. أسد الغابة، لابن الأثير: 1/ 630.

42. في ظلال القرآن: 3768/6.

43. النازعات الآية: 40.

44 .الحنبلي، ابن رجب، جامع العلوم والحكم،–ت: شعيب الارناؤوط-مؤسسة الرسالة –بيروت-2007م: 392/1 رقم 3720،

البيهقي، احمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ،(ت 458هـ)-سنن البيهقي الكبرى- مكتبة دار الباز- مكة المكرمة-

تحقيق: محمد عبد القادر عطا- 1414هـ- 1994م: 3/ 214 رقم 5593.

45. سنن الدارمي- عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي،(ت 255هـ)- دار الكتاب العربي- بيروت- تحقيق: فؤاد احمد زمرلي، خالد السبع العلمي- الطبعة الأولى- 1407هـ- 2003م.: 2/ 378 رقم 2689،

46. الطبري ،أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، – جامع البيان عن تأويل آي القرآن- تحقيق أحمد شاكر ومحمود شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى 2009م.: 327/12،

47. هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر، الفقيه، المفسر، المؤرخ، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي بها، أمتنع عن القضاء، وولاية المظالم، له جامع البيان في تفسير القرآن، وله اختلاف الفقهاء، وأخبار الرسل والملوك، ويعرف بتاريخ الطبري، توفي سنة 310هـ. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي،(ت 852هـ)- لسان الميزان-تحقيق: دائرة المعارف النظامية- الهند- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- الطبعة الثالثة- 1406هـ- 1986م.: 5/ 100،

48. تفسير الطبري: 12/ 327.

49. تفسير البغوي: 279/1، وفتح القدير: 471/5.

50. في ظلال القرآن: 3768/6.

51. تفسير التحرير والتنوير: 4635/1.

52. تفسير التحرير والتنوير: 4823/1.

53. سورة الفجر الآية : 27-30.

54. هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن نوح الأنصاري الخزرجي، كان مقره منية ابن خصيب محافظة الميناء بمصر، توفي؛

الحزن يوم الهول، والحساب.[56] فصورة هذه النفس هي الصورة المشرقة للنفس المؤمنة، فهي مطمئنة بإيمانها ترتفع عن اللغو، وتزخر بالسماحة، والود، وترسم الطريق الواضح لمن يريد أنّ يتأدب بأدب الله.[57]

وبهذا نصل إلى أن الله سبحانه وتعالى أمتحن الشخص المسلم بهاتين النفسين: الأمارة واللوامة، كما أكرمه بالمطمئنة، فهي نفس واحدة تكون أمارة، ثم لوامة، ثم مطمئنة، وهي غاية كمالها وصلاحها. فالله (Y)، خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، وبالتالي يجب وضع دليل لكل شخص مسلم، به ينظم نفسه، ويجعل منها نفساً سعيدة؛ مطمئنة في الدنيا، وراضية مرضية في الآخرة، وذلك بالتزامه بالعقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، والخلق القويم، والتطلع إلى الكمالات، والإقبال على الأعمال الصالحة، ليصل بها الشخص المسلم إلى درجة العبد الراضي من ربه؛ والمرضي لربه.

الفرق بين النفس والروح :

بعد هذا الاستطراد في حقيقة النفس والتي تلاقت فيه مع الروح في الكثير الغالب نذكر آراء العلماء في الفرق بينهما، ولقد سبق أن من معاني النفس في اللغة أنها بمعنى : الروح , ولقد اختلف العلماء في الفرق بينهما إلى **فرقتين**:

الفرقة الأولى : وهم جمهور الأمة، حيث قالوا : ليس بين النفس والروح فرق جوهري، وأنهما بمعنى واحد، قال ذلك **أبو عبد الله القرطبي** في التفسير، **وابن حزم الظاهري** في الفصل ، **وابن القيم في** الروح.

الفرقة الثانية : قالوا : إنّ الروح والنفس متغايران، قال بهذا جماعة من أهل الحديث والفقه والتصوف.

قال **ابن القيم**: وقالت فرقة أخرى من أهل الحديث والفقه والتصوف: الروح غير النفس، قال مقاتل ابن سليمان للإنسان حياة وروح ونفس، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها

وقال أبو عبد الله بن مندة ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس، فقال بعضهم : النفس طينية نارية، والروح نورية روحانية انتهى كلامه رحمه الله. ولقد تركت أدلة الفريقين وتفاصيلهم لعدم الإطالة والإطناب. وللجمع بينهما يقول ابن القيم : الفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات. أي أنّ هناك فرقاً ولكنه ليس جوهرياً، وإنما هو بالأعراض والصفات، فمن نظر إلى أنّ بينهما فرقاً نظر إلى صفاتهما، ومن لم ير بينهما فرقاً نظر إلى ذاتهما وأنهما شيء واحد. والله أعلم. خلاصة ما سبق تبين لي تعريف حقوق النفس، وعلى كل حال فلها خصائص تلازمها وتتصل بها، وتدور حولها خيراً أو شراً ، ومن ذلك خصيصة الهوى قال تعالى:(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى][58].

تعريف الهوى:

الهوى هو مصدر قولهم يَهْوِ وهي تدل على الخلو والسقوط، وكل خالٍ هواء ومنه الهواء بين السماء والأرض. قال تعالى:﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾[59] أي خالية. والهاوية هي جهنَّم والهوة هي الوهدة العميقة. يقول ابن فارس[60]:" وهوى النفس مأخوذ من المعنيين معاً أي الخلو والسقوط لأنَّه خالٍ من كل شيء ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي".

وذهب الراغب إلى أنَّه مأخوذٌ من معنى السقوط فقط، وقال:" وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية"[61].

والهوى المقصود هو هوى النفس وجمعه أهواء إذا أضفته إليك قلت هواي وقولهم هذا الشيء أهوى إلى أي أحب. واستهواه الشيطان أي استهامه، قال تعالى:﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ... ﴾[62] أي زيَّنت له هواه وحبَّبت له الباطل.

قال ابن منظور[63]: وهوى النفس إرادتها، وقيل محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه، قال تعالى: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾[64] أي نهاها عن شهواتها. وأما قوله تعالى:﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[65] فالمعنى لا تؤثر هواك في قضائك على الحق والعدل فتجور، ولا تعتدَّ بهواك المخالف لأمر الله فيضلك عن سبيل الله"[66].

ودفن فيها سنة 671هـ، وله كتاب جامع أحكام القرآن في تفسير القرآن. شذرات الذهب، عبد الحي بن احمد: 5/ 334.

55. هو شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، مفتي بغداد، له كتاب في التفسير من ثلاثين جزءاً ويسمى بروح المعاني، توفي سنة 1270هـ. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ابو البركات الآلوسي: 1/ 57، والأعلام: 7/ 176.

56. تفسير القرطبي: 52/20، روح المعاني: 130/30.

57. المصدر نفسه: 2702/5.

58. سورة النازعات الآية 40

59. سورة إبراهيم الآية 43

60. ابن فارس: هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد المعروف بابن فارس أبو الحسين اللغوي كان فقيهاً عالماً أديباً له مصنفات عديدة ت سنة 395هـ ، البابانى، اسماعيل بن محمد، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – 1413 – 1992 36/1

61. الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب ،المفردات في غريب القرآن: ، تحقيق محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو– القاهرة، 1970م ص 548

62. سورة الأنعام الآية 71

63. ابن منظور: هو محمد بن جلال الدين بن مكرم بن جمال الدين أبو الفضل المعروف بابن منظور الأديب اللغوي صاحب لسان العرب ت 711هـ ، البابانى، هدية العارفين 21/2

64. سورة النازعات الآية 40

أما اصطلاحاً: فقال الكندي[67]:" الهوى ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعيةٍ من الشرع". وقال الراغب:" هو ميل النفس إلى الشهوة "[68]، وقال ابن الجوزي، في كتابه ذم الهوى:" هو ميل الطبع إلى ما يلائمه "[69]، وذكر سعيد حوى:" إنه ميل النفس الخاطئ"[70].

ومن البلاء وللبلاء علامةٌ أنْ لا يُرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها والحر يشبع تارةً ويجوع

والهوى في العموم هو تحصيل رغبات النفس. قال أبو حيان[71]:" وأكثر استعماله فيما ليس بمحمود"[72]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:" ما ذكر في القرآن الكريم هوى إلا ذمَّه"[73].
وقال ابن دريد[74]:

إذا طالبتك نفسك يوماً شهوةً وكان إليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ما هويت فإنما هواك عدو والخلاف صديق[75]

أقسام الهوى:
ينقسم الهوى إلى **قسمين هما**:
1. **الهوى المحمود**:
والهوى هو ميل النفس إلى ما تلائمه من خلقة الله في الإنسان لضرورة بقائها، فميله إلى المطعم والمشرب والمنكح إذا اتبع فيه الشرع جالب للمصالح. والهوى إذا اختصر على جلب المصالح ودفع المضار كان هوىً محموداً، ذلك لأن الهوى منضبط بالشرع. ولهذا يقول الرسول (ρ):" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لمَا جئت به"[76]. ففي هذا الحديث سمى النبي صلى الله عليه وسلّم اتباع سنته هوى، بل بيَّن أنه لا يكمل الإيمان بدونه.
وقال تعالى:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ... ﴾[77]. فإنّ كان ذلك كذلك فإيداع النفوس حب الشهوات ليس مذموماً بل ضرورة ولكن المذموم طلب هذه الشهوة من غير طريق الشرع، أو الانشغال بها عن طاعة الله. ولذلك كان هوى الزوجة والأولاد وكل المحبوبات شيء طبيعي

---

65. سورة ص الآية 26
66. الطبري ،أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، – جامع البيان عن تأويل آي القرآن– تحقيق أحمد شاكر ومحمود شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى 2009م. 189/20
67. الكندي: أيوب بن موسى الحسين أبو البقاء الكندي توفي بالقدس سنة 1094 هـ له كتاب (الكليات–. كحالة، عمر رضا ، معجم المؤلفين: " تراجم مصنفي الكتب العربية" بيروت، إحياء التراث العربي، 1976م – 1957م. 418/1
68. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص 548
69. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي، ذم الهوى ت: مصطفى عبد الواحد مراجعة مُحَمَّد الغزالي – دار الكتب الحديثة ط1 1962م ص5
70. حوى، سعيد، المستخلص في تزكية النفس. ط1 – القاهرة – دار السلام، 1988م ص 259
71. أبو حيان: مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ت 745هـ له مصنفات عديدة انظر البابابي، هدية العارفين 27/2
72. أبي حيان، مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، البحر المحيط – الطبعة الثانية – دار المعارف – بيروت 1398هـ،ومطبعة دار السعادة – مصر1328هـ. 432/10
73. القرطبي، ابي عبد الله الجامع لأحكام القرآن – تح . د. مُحَمَّد إبراهيم الحفناوي نشر :دار الحديث بالقاهرة. 167/16
74. .أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الازدي، من أزد عمان من قحطان، من أئمة اللغة والادب. كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. ولد في البصرة، وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاما، وعاد إلى البصرة. ثم رحل إلى نواحي فارس. ثم رجع إلى بغداد، واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارا، فأقام إلى أن توفي سنة321هـ. ومن كتبه (الاشتقاق) في الأنساب، و(المقصور والممدود) و و (الجمهرة) في اللغة، ثلاثة مجلدات و (أدب الكاتب– الزركلي: خير الدين الأعلام ، بيروت، دار العلم للملايين، ط11، 1995م، 80/6
75. لم أعثر على ديوانه وقد ذكرها القرطبي في تفسيره 163/10
76. ذكره البغوي، في "شرح السنة" –ت: تحقيق شعيب الارناؤوط– مُحَمَّد زهير الشاويش–دار المكتب الاسلامي–دمشق – بيروت –1983م–198/1– وذكره ابن رجب الحنبلي في "جامع العلوم والحكم" –ت: شعيب الارناؤوط–مؤسسة الرسالة –بيروت–2007م حديث رقم 41 وأفاد بأن إسناده صحيح 11
77. سورة آل عمران الآية 14

غريزي لا يلام عليه الشخص ما دام لم يتعدَّ فيه حدود الشرع، أو كان سبباً في انشغاله عن الخير. وفي هذا قصة سيدنا سليمان (υ) لمَّا انشغل عن ذكر الله بالخيل حاسب نفسه على ذلك، وصور القرءان الكريم ذلك، قال تعالى:﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ* فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ* رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾[78] أما النبي(ρ) فقد كان دائماً ما يدعو:" اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني في ما تملك ولا أملك"[79] قال ابن حجر:" قال الترمذي: يعني الحب والمودة"[80] وكذلك فسَّره أهل العلم.

2.**الهوى المذموم:**

وهو الذي يمنع من قبول الحق ويدعو الى مخافة الشرع، ويمنع من الطاعة، ومتى أطلق كان المقصود الهوى المذموم حتى يوصف بما يخرجه، قال ابن عباس:" ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه"[81].

وهو ما يشعر به الإنسان من رغبة رفض الحق ورده إذا جاء به غيره، ومن رغبةٍ في رفض حكم الله، ومن تقديم العاطفة والشهوة على الحق والعدل"[82]. وهذا القسم من الهوى المقصود، بقول الرسول(ρ) والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله"[83].

وقد جاء في حديث آخر بأنّ هذا الهوى المذموم من المهلكات:" ثلاث مهلكات هوى متبع وشحٌ مطاع وإعجاب المرء بنفسه"[84].

بهذا يتضح ان الذم والتحذير واقع على هذا النوع من الهوى، فإنَّ الإنسان لا يُلام على الهوى ولكن عندما يتبعُهُ يُلام اتباعه، وقد قال تعالى:﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ ... ﴾[85] أي مبالغةٌ في الأمر به وميل النفس لهذه الأوامر هو الهوى إذاً فهو مرتبط ارتباط كامل بها.

مظاهر الهوى وعلاقة الهوى بالنفس

1. **حب المال:**

من مظاهر الهوى حب المال، هذا الحب إذا تمكن من قلب الإنسان صار مانعاً له من قبول الحق ولهذا كان حب، المال الزائد عن حَدِه من المهلكات وذمَّ الله قوماً بحبهم للمال، بقوله تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً* وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾[86].

وقال الشاعر سعيد بن علي الكرمي[87]:

وأعماهُ حبُّ المالِ عن موقع الـهدى تَرَقَبْ عذَابَاً وَاقِعَاً ليس بالسَّهْلِ

ومن هنا نرى أنَّ حبَّ المال يعمي الإنسان عن الحق، قال تعالى:﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾[88]. قال العلماء: إنَّ هذه القلوب مجبولةٌ على حبِّ الأموال والأولاد وهي بلاء واختبار لينظر كيف تعملون في أداء حق الله عليكم فيها، فلا تصدكم عن الحق، قال ابن كثير:" إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه أم تشتغلون بها عنه"[89]. فحب المال هو من الأشياء التي تكبر مع الإنسان, كمظهر من مظاهر الهوى ومانع من موانع قبول الحق، يوضح النبي (ρ) ذلك بقوله:" يكبر ابن آدم ويكبر

---

78. سورة ص الآيات 31 – 33

79. أخرجه سنن أبي داوود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، ت: احمد سعد على، الطبعة الأولى، الحلبي، مصر، 1371هـ ،باب القسم بين النساء 34/6 رقم 1822

80. العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ، تحقيق وتصحيح ابن باز مستو، الرياض، دار اللواء، ط2، 1400هـ – 1980م –باب العدل بين الزوجات– 13/ 15

81. ابن الجوزي – ذم الهوى – ص 3 و القرطبي، الجامع لأحكام القرءان 16 /167

82. آل عمر، عبد الرحمن بن حماد –كتاب دين الحق – ط2– 1420هـ– ص 128

83. أخرجه الترمذي ، أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سورة ، توفي سنة 297 هـ . سنن الترمذي تحقيق : أحمد شاكر ، مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ، إبراهيم عطوة عوض ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية سنة 1388هـ 499/8 رقم 2383 وقال حديث حسن

84. أخرجه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مُحَمَّد السعيد بسيوني زغلول، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – 1410هـ 30/15 رقم 7003 وقال إسناده ضعيف.

85. سورة يوسف الآية 53

86. سورة الفجر الآيات 19 – 20

87. سعيد بن علي الكرمي فقيه من علماء الأدب ولد بطولكرم بفلسطين درس بالأزهر له كتاب واضح البرهان في الرد على أهل البهتان وهو رسالة في الشوق ت:1935م انظر الموسوعة الشعرية على(http://www.cultural.org.ae)

88. سورة الأنفال الآية 128

89. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم – تح. سامي السلامة:– نشر :دار طيبة للنشر بالرياض : 1418هـ /1997م 42/4

معه اثنان:" حب المال وطول العمر"[90] وأخبر الله سبحانه وتعالى عن الإنسان بأنَّه يحب المال:﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[91] قال ابن عباس (τ) ومجاهد وقتادة :الخير المقصود به هنا هو المال[92]. فهذا الحب إذا انفلت من ضوابط الشرع صار هوىً منيعاً مانعاً من قبول الحق، ولذلك قال المشركون:﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[93] افتخروا بكثرة الأموال والأولاد واعتقدوا أنَّ ذلك دليل على محبة الله سبحانه وتعالى لهم واعتنائه بهم وأنه ما كان ليعطيهم في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم، قال تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[94].

وسبب حب المال ناتج عن حب تحصيل الشهوة، فبالمال نتحصل الشهوات، والإنسان مجبولٌ على حبها، ويستعان بالمال في تحصيل القوة والجاه وذلك مجموع الدنيا. قال الحسن البصري:" لكل قوم وثنٌ يعبدونه، وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم"[95]، فهو يفسد الدين ويقعد عن الذكر، قال تعالى:﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[96]. فحب المال من المهلكات، ونجد أنّ القرءان الكريم قد قصَّ علينا قصة قارون وأنّ الله -سبحانه وتعالى- بسط له في المال حتى قال: ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ...﴾[97] فاغتراره بالمال وحبه له كان سبب رفضه الحق مما أدى إلى هلاكه. وقد أنشد أبو العتاهية[98]:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه	تملكه المـــال الذي هو مالكه
ألا إنـما مالي الذي أنا منـــــــفق	ولـيس لـي الذي أنا تـــاركه
إذا كنت ذا مالٍ فبـــــادر به الـذي	يحق والا استهلكتك مهـالكه[99]

قيل لأبي العتاهية من اين قضيت بهذا؟ قال من قول رسول الله (ρ):" يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مالي مالي قَالَ وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ"[100].

2. **حب الأهل والأولاد:**

لا ينفك هوى الأهل والأولاد عن الإنسان مما يؤدي إلى ميل الإنسان له ليكون أثراً في صد الإنسان عن الحق ، قال سبحانه وتعالى:﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[101]. وكان هذا من معجزات القرءان الكريم إذ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيَّه (ρ) قبل حصوله. فالأهل سبب الانشغال عن الحق وإجابة داعيه.

وفي هذا المعنى يقرر لنا القرءان الكريم ويأمرنا في آية جامعة أنْ لا نقدم شيئاً من المحاب على محبة الله شيء فالمقدم دائماً محبة الله لا محبة الأهل والأموال، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيكم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[102].

يقول ابن عاشور:" ارتقاء في التحذير من العلائق التي قد تفضي إلى التقصير في القيام بواجبات الإسلام فلذلك جاءت زيادة تفصيل الأصناف من ذوي القرابة وأسباب المخالطة"[103].

---

90. أخرجه البخاري عن أنس بن مالك- باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر- 231/18 رقم 5942

91. سورة العاديات الآية 8

92. الطبري، جامع البيان 437/20

93. سورة سبأ الآية 35

94. سورة التوبة الآية 55

95. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، بهجة المجالس وانس المجالس -- الطبعة الثانية – دار المعالى – الأردن-1419هـ.39/1

96. سورة النجم الآية 29

97. سورة القصص الآية 76

98. أبو العتاهية : هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان المعروف بأبي العتاهية ت 213هـ الوافي بالوفيات 235/3

99. انظر ديوان أبي العتاهية- تقديم صلاح الهواري-دار الهلال-بيروت-2004م ص 262

100. النووي، يحيى بن شرف ، شرح صحيح مسلم ، الرياض، مؤسسة قرطبة، ط2، 1414هـ - 1994م14 /207 برقم 5258

101. سورة الفتح الآية 11

102. سورة التوبة الآية 24

103. ابن عاشور، محمد طاهر تفسير التحرير والتنوير: الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، 251/6

فقد ذكر الله هذه الأصناف وفيهم الأهل والأزواج والأولاد وذم تقديم محبتهم على محبة الله أو أنْ تصدَّ عن سبيل الله أو الإجابة لرسوله (ρ). فحب الأهل والأولاد والعشيرة كمظهر من مظاهر الهوى يعدُّ أبلغ الاثر في الصد عن سبيل الله، مانعاً من قبول الحق والرضا به ولذلك حذَّر الله منه وكذلك رسوله (ρ).

3. **حب الرئاسة:**

من مظاهر الهوى، حب الرئاسة، والحرص عليها والسعي إليها وبذل الغالي والنفيس من أجلها، فهو من أكبر مظاهر اتباع الهوى، ولا شك أنّ الذي يحرص على الرئاسة دون تقوى من الله فإنه يفسد دينه، وقد قيل إنَّ آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة. فحب الرئاسة داءٌ خطير، حذّر منه العلماء سلفاً وخلفاً، رغم انتشاره، قال سفيان الثوري[104]:"ما رأيت الزهد في شيء أقلَّ منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب فإذا نوزع في الرئاسة حامى عليها وعادى"[105].

وفي السيرة النبوية نموذج واضح للذي أعماه حب الرئاسة عن الحق، قال ابن هشام في السيرة:" فأما عبد الله بن أُبي بن سلول فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملِّكوه فجاء الرسول (ρ) وهم على ذلك، فلمَّا انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضَغِنَ ورأى أن رسول الله (ρ) قد استلب ملكه، فلما رأى قومه قد أبَوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصراً على نفاقٍ وضغن "[106] وكان رأس النفاق ورأس الكفر وأعدَّ الله له العذاب الأليم يوم القيامة، هذا بسبب حبه للرئاسة.

قال أبو العتاهية:

حب الرئاسة أطغى مَنْ على الأرض حتى بغى بعضهم فيها على بعض[107]

ولا يجوز طلب الرئاسة والإمارة وقد جاء في الحديث:" عن عبد الرحمن بن سمُرة قال: قال لي النبي(ρ) يا عبد الرحمن بن سمُرة لا تسأل الأمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلْت إليها وإنْ أعطيتها من غير مسألة أُعِنْت عليها.."[108].

يستفاد من هذا أنّ طلب الرئاسة مكروه، وكل ما يتعلق بالحكم كذلك كالولاية والحسبة وغيرها. وخاصة إذا كان الإنسان غير أهل لذلك فقد أوصى رسول (ρ) أبا ذر بقوله:" إنَّها أمانة، وإنَّها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها"[109] قال الإمام النووي:" هذا أصلٌ عظيمٌ في اجتناب الولاية ولاسيما لمن كان فيه ضعف"[110] ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[111].

شبهة طلب سيدنا يوسف (υ) الرئاسة والرد عليها:

وقد يتعلل البعض بطلب سيدنا يوسف (υ) لهذه الأمانة غير أن أهل العلم قد ذكروا خصائص ومناقب سيدنا يوسف(υ) قال تعالى على لسان يوسف (υ):﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[112] وظاهر هذه الآية أن سيدنا يوسف (υ) طلب إن يكون على خزائن الأرض وانه قد سأل الولاية وفي هذا **مسألتان:**

1. هل تجوز الولاية من قِبَل الظالم؟
2. هل يجوز طلب الرئاسة؟

ففي المسألة الأولى، **قولان:**

1. جواز الولاية من قبل الظالم، إذا عمل بالحق وعلم من المصلحة فيما يتولاه, لأنَّ يوسف(υ) تولى من فرعون ليكون دافعاً بعدلِهِ جورَهُ.
2. وذهبت طائفة أخرى إلى حظرها بالمنع من التعرض لها لما فيها من تولي الظالمين والمعونة لهم وتزكيتهم.

وأجابوا عنْ ولاية يوسف(υ) من قبل فرعون: أن فرعون يوسف (υ) كان صالحاً وإنَّما الطاغي فرعون موسى (υ).

أما المسألة الثانية:

---

[104]. سفيان الثوري: هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع أبو عبد الرحمن الثوري الفقيه سيد أهل زمانه ت 161هـ انظر الوافي بالوفيات 89/5

[105]. الاصفهاني، الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، ت 430هـ ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:. طبعة1 دار الكتب العلمية . بيروت 1409هـ ت 430هـ 165/3

[106]. ابن هشام، السيرة النبوية ، ت:د.محمد فهمي، الطبعة الأولى، القاهرة د،ت583/1

107.يبين أن حب الرئاسة جعل الناس يعتدي بعضهم على بعض –انظر ديوان أبي العتاهية– ص 198

[108]. أخرجه البخاري في الصحيح "فتح الباري" باب من لم يسأل الأمارة 55/22 رقم 6613 وأخرجه مسلم باب النهي عن طلب الأمارة 343/9 رقم 3401

[109]. أخرجه مسلم باب كراهة الأمارة بغير ضرورة 347/9 رقم 3404

[110]. فتح الباري ج2 /165

[111]. سورة القصص الاية83

[112]. سورة يوسف الآية 55

مع كراهة طلب الإمارة والأحاديث الواردة في ذلك إلا أنَّ بعض العلماء أجازها بشروط، **منها**:

1. إذا رأى الأمور في يد الخونة أو الضعفاء فيجوز طلبها لإنقاذ الموقف.
2. إذا علم من نفسه الكفاءة ولا يوجد من هو أفضل منه ليسدَّ هذه الثغرة.
3. إذا عمل بالحق وعلم من نفسه ذلك.

وأجابوا عن سيدنا يوسف (υ) بأنه:

1. قد علم في نفسه الكفاءة والقدرة ولا يوجد من هو أكفأ منه، ويعلم أنه قادر على هذه المسؤولية.
2. علم أن هذه المسؤولية كبيرة يقصِّر كل من تولاها لأنها إطعام شعوب عديدةٍ وإدِّخار حصاد سبع سنين لسبع سنين عجاف فهذه مهمةٌ تنقطع دونها أعناق الرجال.
3. وسيدنا يوسف (υ) يريد أنّ يعمل في هذا المنصب للاستفادة منه في الدعوة إلى الله.

ولذلك لا توجد شبهة في أنه أراد المنصب لطمع شخصي أو غرض دنيوي لأنَّ المهمة عسيرةٌ، وهؤلاء كفرةٌ وهو يريد أن يدعوهم إلى الله - سبحانه وتعالى

ذم الهوى:

وردت الآثار بأنه ما سمي الهوى إلا لأنه يهوي بصاحبه في النار، ولا شك أن في مخالفة النفس للهوى، قوتها ومنعتها من الشيطان، وجاء في القرءان الكريم آيات كثيرة في ذم الهوى والتحذير من اتباعه، كقوله تعالى:﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[113].

وقال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى*فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[114].

وقال تعالى:﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[115].

قال الإمام الجوزي في قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾: إنَّ المراد بهذا الهوى ما منع منه وحرم[116]. وهذا الهوى كما قال ابن القيم: هو ميل النفس إلى ما يلائمها، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل وما شرب وما نكح، فالهوى ساحب لما يريده الإنسان، فلا ينبغي ذم الهوى مطلقاً ولا مدحه مطلقاً وإنما يذم المفرط فيه، وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار.

ولما كان الغالب في من يطيع هواه أن يجنح, لأنه يندر دائماً في الأمزجة المزاج المعتدل من كل وجه، أطلق الذم للهوى. وذلك كما قال ابن عباس:" ما ذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذمه "[117] وكذلك جاء في السنة مذموماً إلا ما جاء مقيداً كقوله (ρ):" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به "[118]. والهوى كمينٌ لا يُؤْمَن ومطلقه يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في العاقبة، وإنْ كانت سبباً لأعظم الآلام آجلاً أو عاجلاً وربما البعد من رحمة الله تعالى.

وينبغي للعاقل أن يتمرَّن على دفع الهوى. وقد تقدَّم أن من المهلكات هوى متبع. وقد ثبت عن النبي (ρ) أنه قال:" إنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى"[119]. وقد قال الإمام ابن القيم:" مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه"[120]. وإذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما من هواك، فإن أقرب ما يكون الخطأ في متابعة الهوى"[121].

آثار الهوى على النفس:

للهوى آثار كثيرة وخطيرة، بل عاقبته وخيمة، **ومن ذلك**:

1. **ضياع الدين وفساد العقيدة :**

قال تعالى:﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾[122] فالذي يتبع هواه فهو عابده كما جاء في الحديث:" ما تحت ظل السماء إلهٌ يُعبد أعظم عند الله من هوى متبع "[123] والذي يعبد غير الله ضاع دينه وفسدت عقيدته وخسر خسراناً مبيناً، قال

---

113. سورة الفرقان الآية 43
114. سورة النازعات الآيات 40 – 41
115. سورة الكهف الآية 28
116. السفاريني، أبو عون محمد بن احمد – غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب– دار الكتب العلمية–بيروت–2002م،28/4
117. القرطبي، الجامع لأحكام القرءان 167/16
118. ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم رقم 41 وأفاد بأن إسناده صحيح , والبغوي في شرح السنة 198/1
119. الشيباني، أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وغيرهم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ – 1995م . 256/20 برقم 18937
120. السفاريني، غذاء الألباب– ابو عون محمد بن احمد – 28/4
121. المرجع السابق28/4
122. الفرقان الآية 43
123. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، المعجم الكبير، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، الطبعة : الثانية ، دار النشر : مكتبة الزهراء – الموصل – 1404 – 1983م، رقم 7502

تعالى:﴿ ولَن تَرْضَى عَنكَ اليهود وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[124].

قد بيَّن الله أنَّ اتباع اليهود والنصارى هو اتباع للأهواء وهو ما يسعى إليه اليهود والنصارى فلئن اتبعت أهواءهم وصرت منهم فسدت عقيدتك وضاع دينك و"حتى تتبع ملتهم" بالإفراد دليل على أنّ الكفر ملة واحدة. وقوله تعالى:﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[125]. قال ابن جرير(واتبع هواه) وترك أمر الله ونهيه وآثر هوى نفسه على طاعة ربه"[126]. فنجد أنّ من يتبع هواه يكون أمره فرطاً، ضائعاً هالكاً ولذلك حذر الله نبيه من طاعة من اتبع هواه فكانت له السلامة من الهلاك وضياع الدين.

2. **تكذيب الأنبياء وإيذائهم:**

عندما جاءت الرسل حمل الهوى الناسَ على تكذيبهم بل وقتلهم أحياناً، قال تعالى:﴿ كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾[127]. وقال تعالى:﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾[128] أي كلما جاءهم رسلٌ بما لا تشتهي أنفسهم ولا يوافق محبتهم كذبوا منهم فريقاً ويقتلون فريقاً آخر، وهذا قمة الخسران في الدنيا والآخرة ولذلك كان الهوى خطيراً. ويحذر الله سبحانه وتعالى رسوله الله (ρ) والمؤمنين فيقول:﴿ ولاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[129] أي أهواء الذين كذبوا الرسل وأنكروا البعث والجزاء، فكان تكذيبهم هذا نتيجة لإتباعهم الهوى.

3. **الاستكبار عن الحق وعدم قبوله:**

من أكبر آثار الهوى الاستكبار عن الحق وعدم قبوله وفي هذا جاء قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾[130]. قال ابن جرير:" وأنتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه أنفسكم استكبرتم عليهم تجبراً وبغياً واستكباراً"[131]. وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية:" ينعِت الله تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة والاستكبار على الأنبياء وأنهم في ذلك يتبعون أهواءهم..."[132] وفي هذا نجد أنّ الذي صدَّ بني إسرائيل عن الحق وعدم قبوله: استكبارهم على الأنبياء واتباعهم لأهوائهم.

4. **إتباع الهوى يؤدي إلى الظلم:**

ما جار أحد على أحد وما ظلم أحدٌ أحداً إلا وهو في ذلك تابعٌ لهواه وقد أوصى القرآن الكريم بعدم الإتباع للهوى، قال تعالى:﴿ فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾[133] قال ابن جرير:" فلا تتبعوا الهوى أنّ تعدلوا..." أي عن الحق فتجوروا بترك إقامة الشهادة للحق. ومعناه لا تتبعوا أهواء أنفسكم هرباً من أن تعدلوا عن الحق"[134]

ويذكر الإمام القرطبي في قوله تعالى: (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) نهي فإنَّ إتباع الهوى مُرْدٍ، أي مُهلك، قال تعالى:﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[135] فاتباع الهوى يحمل على الشهادة بغير الحق وعلى الجور في الحكم إلى غير ذلك، قال الشعبي[136]: أخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثة أشياء: ألا يتبعوا الهوى، وألا يخشوا الناس ويخشوه، وألا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً"[137].

وبهذا نجد أنَّ للهوى آثاراً كثيرةً وخطيرة تودي بالإنسان إلى المهالك وتورده النيران وتبعده من الرحمة. وقد تبين فيما مضى بعض المخاطر والآثار، فكان اسلوب القرآن الكريم التحذير منه ومن إتباعه وأوضح أن آثاره كثيرة ذكر بعضها ، ومن أهم هذه الآثار أنه يحمل على الجور والظلم والحكم بالباطل.

---

124. سورة البقرة الآية 120
125. سورة الكهف الآية 28
126. الطبري، جامع البيان 155/15
127. سورة المائدة الآية 70
128. سورة القمر الآية 3
129. سورة الأنعام الآية 150
130. سورة البقرة الآية 87
131. الطبري، جامع البيان 319/1
132. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 412/1
133. سورة النساء الآية 135
134. الطبري، جامع البيان 206/5
135. سورة ص الآية 26
136. الشعبي: هو أبو عمرو عامر بن شرحبيل الشعبي ت 107هـ من التابعين انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان 13/3
137. القرطبي ،الجامع لأحكام القرءان 410/5

وسائل علاج النفس عن الهوى:

وضع كتاب الله وسنة رسوله(ρ) علاجاً ناجعاً للهوى ورتَّب على اتباعه العقاب الأليم وعلى مخالفته الثواب العظيم ومن الخطوات التي يجب اتباعها في علاج الهوى، **الآتي:**

1. الخوف من الله تعالى، قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى*فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[138] والمعنى كما قال الطبري:" وأما من خاف مسألة ربه إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه"[139] فالخوف من الله ودوام مراقبته من أشد المعينات على مخالفة الهوى، قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[140] أي إذا ألم بهم لمم من الشيطان أو الهوى مما يصد عن سبيل الله أو واجب تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده وأبصروا الحق وعملوا به وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم.
2. **التفكر في أنَّ الإنسان لم يخلق للهوى:**

يجب على الإنسان أنْ ينظر في سبب وجوده، هل خلق لتحصيل الهوى والشهوات وإتباع ذلك؟ وأنّ يعمل فكره في ذلك ليصل إلى الحق الذي هو أنه ما خلق إلا ليعبد الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[141] واتباع الهوى مخالفة لهذه الغاية، لأنَّ الهوى يصدَّك عن سبيل الله والسير في طريق الحق، وهذا التفكر الصحيح في سبب وجود الإنسان من الأشياء التي تجعل الإنسان يعمل لما خلق له ويستعد للمصير الذي ينتظره، فيخالف هوى النفس التي دائماً ما تدعو إلى الطغيان والعصيان.
3. **التفكر في عاقبة الهوى:**

عاقبة الهوى دائماً الخسران والخذلان في الدنيا والآخرة ويفوت الفضائل ويحصِّل الرذائل، ولذلك جعل الهوى من أصول المهلكات كما جاء في الأثر: "وهوى متبع"، فالعاقل ينظر إلى تحصيل الهوى بما يؤول إليه في النهاية فيزجر عنه، وكم من أذى يحصل بعد اللذة وكم خسران ومصائب وغيرها بسبب الهوى.
4. **الاقتداء بالنبي** (ρ):

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ * قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[142] قال الإمام الطبري:" والقول في تأويلها: فإن لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والإنجيل: سحران تظاهرا، الزاعمون أنَّ الحق في غيرهما من اليهود يا محمد- إلا أن يأتوك بكتاب من عند الله هو أهدى منهما- فاعلم أنما يتبعون أهواءهم"[143].

يقول تعالى: "ومن أضل" أي عن طريق الرشاد وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله وعهد من الله، ويترك عهد الله الذي عهده إلى خلقه في وحيه وتنزيله:[إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين) يقول: إنّ الله لا يوفق لإصابة الحق وسبيل الرشد، القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته وكذبوا رسوله وبدلوا عهده واتبعوا أهواء أنفسهم إيثاراً منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم"[144].

مما سبق نجد أنَّ الاقتداء بالنبي (ρ) علاج من الهوى إذ أنّ الذين لم يستجيبوا للرسول ﷺ، كانوا يتبعون أهواءهم. فالاقتداء به ﷺ حصنٌ منيع للإنسان لأنّ الله تعالى يقول:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[145]. ويقول سبحانه:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[146].
5. **الاستقامة على ما جاء به الكتاب الكريم:**

الهوى واسطة الشيطان للإنسان وطريقه إليه، وعندما يستقيم الإنسان على ما جاء عن الله فيصوم عن الملذات الدنيوية، وهذا أكبر علاج، فإذا صام الإنسان حفظ شهوتي البطن والفرج وفي هذا مخالفة للهوى، وخير كثير. وكذلك صوم القلب عن التطلع إلى ما لا يجب التطلع له ، فمن صدَّق بأنّ مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل لم يطلع على سبب من أسبابها وحفظ نفسه وخالف هواه، واستقام على ذلك وكان من الذين آمنوا.

---

[138]. سورة النازعات الآية 40 – 41
[139]. الطبري، جامع البيان – 212/24
[140]. سورة الأعراف الآية 201
[141]. سورة الذاريات الآية 56
[142]. سورة القصص الآية 48-50
[143]. الطبري، جامع البيان– 592/19
[144]. المرجع السابق 592/19
[145]. سورة النجم الآيات 3 – 4
[146]. سورة الحشر الآية

وقد سبق أنّ ذكرنا أنّ يوسف (υ) التزم بحكم الله وخالف هواه ولم يطعه فجعله الله ملكاً بعد أنّ كان سجيناً، قال تعالى:﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[147].

الخاتمة:

عرض هذا البحث في مجمله إلي حقيقة مهمة، وهي قضية العلاقة بين النفس والهوى من منظور القرآن الكريم، وقد تطرق البحث إلى إيضاح العلاقة بين النفس والهوى وبيان الصراع السرمدي بينهما. وقد توصل البحث إلي عدة نتائج أهمها وحدة البشرية في الفطرة والتكوين، واختلافهم في الاختيار والقدرة على التغيير، وإنّ طلب الشهوة والهوى إذا كان منضبطاً بالشرع صار قربة إلي الله تعالى، وإذا توجه به صاحبه منهج الحق تحول من مذمة إلى محمدة. وقد أوصى البحث بضرورة الاهتمام بقضية تزكية النفس ومحانبة الهوى خاصة وأن التزكية هي مناط الفلاح في الدنيا والآخرة، كما أوصى البحث بنشر ثقافة تزكية النفس عبر شتي الوسائل والحلقات والمحاضرات والكتابات، على كافة الوسائل المقروءة والمسموعة لتعميق قيم التزكية في النفس ودراسة قصص القرآن والاعتبار بها لإبراز قيم الحق بين الناس.

147. سورة يوسف الآية 90

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. ابن الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد ،(ت 606هـ)- **النهاية في غريب الحديث والأثر**- تحقيق: طاهر hحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي- المكتبة العلمية- بيروت-1399هـ- 1979م.
2. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي، **ذم الهوى** ت: مصطفى عبد الواحد مراجعة محمد الغزالي – دار الكتب الحديثة ط1 1962م
3. ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار الفكر - بيروت،1988.
4. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم – **مجموع فتاوى ابن تيمية** – جمع عبد الرحمن ابن قاسم – سوريا – مطبعة الرسالة – الطبعة الأولى 1398هـ.
5. ابن خلكان، لأبي العباس أحمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** (ت681هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت (1969م).
6. ابن عاشور، محمد طاهر **تفسير التحرير والتنوير**: الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
7. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، **بهجة المجالس وانس المجالس** - -الطبعة الثانية – دار المعالى – الأردن-1419هـ.
8. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف ،(ت751هـ)- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**- دار المعرفة- بيروت- تحقيق: محمد حامد الفقي- الطبعة الثانية- 1395هـ- 1975م.
9. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية،(ت751هـ).**الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**
10. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، **تفسير القرآن العظيم** - تح. سامي السلامة:- نشر : دار طيبة للنشر بالرياض : 1418هـ /1997م
11. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب** ، بيروت، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، ط2، 1417هـ- 1997م.
12. ابن هشام، **السيرة النبوية** ، ت: د. محمد فهمي، الطبعة الأولى، القاهرة د، ت
13. أبو الحسين، الحجاج: مسلم – صحيح مسلم المسمى: **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله** (ρ) شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت– الطبعة الأولى 1419هـ.القاموس المحيط
14. أبو داوود، **سنن أبي داوود**، ت: احمد سعد على، الطبعة الأولى، الحلبي، مصر، 1371هـ.
15. أبي العتاهية، **ديوان أبي العتاهية** - تقديم صلاح الهواري- دار الهلال–بيروت-2004م
16. أبي حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، **البحر المحيط** - الطبعة الثانية – دار المعارف – بيروت 1398هـ ، ومطبعة دار السعادة – مصر1328هـ.
17. الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الراغب ،**المفردات في غريب القرآن**: ، تحقيق محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو- القاهرة، 1970م
18. الاصفهاني، الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، ت 430هـ، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**:. طبعة1 دار الكتب العلمية . بيروت 1409هـ.
19. آل عمر، عبد الرحمن بن حماد - **كتاب دين الحق** - ط2- 1420هـ-
20. الآلوسي، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود ت(1270هـ) البغدادي- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
21. الباباني، إسماعيل بن محمد الباباني، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - 1413 – 1992.
22. البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله،(ت 709هـ)-**المطلع على أبواب الفقه**- تحقيق: محمد بشير الأدلبي—المكتب الإسلامي- بيروت- 1401هـ- 1981م.
23. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود ت(516هـ)- **شرح السنة**،–ت: تحقيق شعيب الارناؤوط- محمد زهير الشاويش-دار المكتب الاسلامي-دمشق – بيروت -1983م.
24. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود ت(516هـ)- **معالم التنزيل**- دار طيبة للنشر والتوزيع- الطبعة الرابعة- حققه وخرج أحاديثه: محمد بن عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان بن مسلم الحرش- 1417هـ- 1997م

25. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين ، **شعب الإيمان** ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت – 1410هـ.
26. البيهقي، احمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ،(ت 458هـ)- **سنن البيهقي الكبرى**- مكتبة دار الباز- مكة المكرمة- تحقيق: محمد عبد القادر عطا- 1414هـ- 1994م.
27. الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، توفي سنة 297 هـ . **سنن الترمذي** تحقيق: أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية سنة 1388هـ
28. الجرجاني، علي بن محمد بن علي ،(ت 816هـ)- **التعريفات**- دار الكتاب العربي- بيروت- تحقيق: إبراهيم الابياري- الطبعة الأولى- 1405هـ.
29. الحنبلي، ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**،–ت: شعيب الارناؤوط- مؤسسة الرسالة –بيروت-2007م
30. حوى، سعيد، **المستخلص في تزكية النفس**. ط1 – القاهرة – دار السلام، 1988م
31. الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز- أبو عبد الله،(ت 748هـ)- **سير أعلام النبلاء** تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة التاسعة- 1413هـ.
32. رياض، سعد - **موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي**- دار ابن الجوزي- القاهرة- د. ط- 2008م.
33. الزركلي: **خير الدين الأعلام** ، بيروت، دار العلم للملايين، ط11، 1995م.
34. السفاريني، محمد بن احمد - **غذاء الألباب**- دار الكتب العلمية- بيروت-2002م
35. **سنن الدارمي**- عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي،(ت 255هـ)- دار الكتاب العربي- بيروت- تحقيق: فؤاد احمد زمرلي، خالد السبع العلمي- الطبعة الأولى- 1407هـ- 2003م.
36. سيد قطب،(ت 1966م)- **في ظلال القرآن**- دار الشروق- بيروت- الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون- 1425هـ- 2004م.
37. الشوكاني: محمد بن علي – **فتح القدير** – دار المعرفة 1250هـ
38. الشيباني، أحمد بن حنبل ، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وغيرهم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ - 1995م.
39. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك - **الوافي بالوفيات** - ط :الثانية ، بيروت،1985م.
40. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، الطبعة: الثانية ، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - 1404 - 1983.
41. الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، – **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**- تحقيق أحمد شاكر ومحمود شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى 2009م.
42. العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري **في شرح صحيح البخاري**: ، تحقيق وتصحيح ابن باز مستو، الرياض، دار اللواء، ط2، 1400هـ - 1980م.
43. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي،(ت852هـ)- **لسان الميزان**- تحقيق: دائرة المعارف النظامية- الهند- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- الطبعة الثالثة- 1406هـ- 1986م.
44. عيسى، احمد بن إبراهيم بن - **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**- تحقيق: زهير الشاويش- المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثالثة- 1406هـ.
45. الغزالي، محمد بن محمد بن محمد أبو حامد،(ت505هـ) **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**- دار الآفاق الجديدة- بيروت- الطبعة الثانية- 1975م.
46. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المُقري **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لا . ت .
47. القرطبي: محمد بن أحمد – **الجامع لأحكام القرآن**– تصحيح أحمد عبد العليم وزملائه– الطبعة الثانية 1372هـ.
48. القرطبي، ابي عبد الله **الجامع لأحكام القرآن** – تح . د. محمد إبراهيم الحفناوي ، نشر :دار الحديث بالقاهرة.
49. كحالة، عمر رضا ، معجم المؤلفين: **"تراجم مصنفي الكتب العربية"** بيروت، إحياء التراث العربي، 1976م – 1957م.
50. كنعان، الشيخ احمد محمد - **تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف** - دار السلام- دمشق-د. ط- د.ت.
51. مصطفى، إبراهيم ، وآخرون- **المعجم الوسيط**- تحقيق: مجمع اللغة العربية- دار الدعوة.
52. النووي، يحيى بن شرف ، شرح صحيح مسلم ، الرياض، مؤسسة قرطبة، ط2، 1414هـ - 1994م
53. http://www.cultural.org.ae